الصليبيون:

الصليبيون مقاتلون من أوروبا كانوا يحملون الصليب على صدورهم ويتجهون في حملات حربية منظمة نحو الشرق الإسلامي بدعوة تخليص الأماكن المقدسة من المسلمين وتأمين الحج إلى تلك الأماكن للنصارى.

وكانت الحروب الصليبية استجابة لنداء البابا جريجوري السابع الذي كان واسع الطموح، وأحسّ أن تحت يده قوة يمكن أن يستخدمها لتوحيد بلاد الغرب الأوربية تحت لواء الكنيسة في مشروع كبير لتوحيد الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية للتصدّي للإسلام.

وإذا كانت الفرصة لم تسنح للبابا جريجوري السابع باستكمال مشروعه الكبير في حياته عندما توفي عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م، فقد خَلَفَهُ البابا أوربان الثاني على السير قدماً في تحقيق هذا المشروع.

كانت الكنيسة البيزنطية في الشرق قد أحست بالخطر الكبير يتهددها بعد أن انتصر السلطان السلجوقي ألب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانس الرابع في موقعة ملاذكرد عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م. وكانت ملاذكرد في أقصى شمالي أذربيجان، لكن ذلك الانتصار فتح الطريق أمام قبائل الترك لتدخل آسيا الصغرى (بلاد الدولة البيزنطية)، وليؤسسوا فيها سلطنة سلجوقية عُرِفَتْ باسم سلطنة سلاجقة الروم، وأخذت تلك السلطنة توسع نفوذها شرقاً، وهذا جعل الإمبراطور الكسيوس كومينين، إمبراطور الدولة البيزنطية ـ يحس بالخطر على الإمبراطورية ويستعين بالخطر الأوربي لدفع الخطر السلجوقي.

كانت الحروب الصليبية ٤٨٧-٨٢٩هـ/ ١٠٩٥-١٤٦٢م، فرصة متاحة لتحقيق القدر الكبير من أطماع الغرب النصراني في ديار الإسلام، فقد أدرك قادة النصرانية أن قوى المسلمين كانت آخذة في التراجع والتقهقر بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس ٤٢٢هـ-١٠٣١م، وانقسام الأندلس الإسلامي إلى دويلات (ممالك الطوائف)، وكان النورمان قد نجحوا في استعادة صقلية من أيدي المسلمين ٤٥٤-٤٨٤هـ/ ١٠٦١-١٠٩١م، وعمت الغرب الأوربي رُوحٌ من الحماس الديني في وقت تضاعف فيه عدد السكان، وصاروا يحلمون بأرض جديدة موفورة الخيرات، في وقت شاع فيه أن السلاجقة يعتدون على الحجاج النصارى إلى بيت المقدس، ويعتدون على الأماكن المقدسة.

لقد استمرت الحروب الصليبية على مدى أربعة قرون تدخلت خلالها أسباب عديدة لاستمرار تلك الحروب ووجهتها أهداف لا تمت بصلة إلى إنقاذ الأماكن المقدسة، منها طمع الكثيرين من نبلاء الغرب في إنشاء ممالك لهم في بلاد المسلمين ونهبها وسلب ما تيسر من خيراتها، ومنها روح المغامرة والرغبة في إظهار البطولة لدى بعض من شاركوا في تلك الحروب، بل يرى بعض المؤرخين أن الحروب الصليبية ليست إلا حلقةً من سلسلة طويلة تتمثل في الصراع الطويل الذي كان يستعرُ بين الشرق والغرب، مبتدئاً بحرب طروادة وفارس في الأزمنة الغابرة، ومنتهياً بالتوسع الاستعماري الأوربي في العصر الحديث.

لقد ظهرت خلال الحروب الصليبية بطولات إسلامية رائعة، أبلى فيها أتابكة الموصل وحلب وسلاطين مصر، وكانت فيها مواقع خالدة مثل موقعة حطين ٥٨٨هـ/ ١٨٨٧م، واستعادة القدس بهمة وشجاعة صلاح الدين الأيوبي. وعرف الصليبيون خلال تلك الحملات بسالة الشعوب الإسلامية في دمياط ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وفي ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. واستعاد المماليك ما كان بيد الصليبيين من بلاد الشام، بل قضى المماليك على آخر ما كان لهم من قواعد هناك بعد أن نجحوا في إسقاط عكا ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وبسقوطها تمت تصفية بقية القواعد القريبة منها مثل صور وصيدا وحيفا وبيروت وطرطوس، بل لقد استولى المماليك بقيادة السلطان بارسباي على قبرص بعد ثلاث حملات دفع بها المماليك إلى تلك الجزيرة التي كانت وكراً للصليبيين قرب السواحل الإسلامية، وكان آخر تلك الحملات عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م.

وظلت قبرص تابعة لسلطان المماليك حتى مجيء العثمانيين إلى مصر عام ٩٢٣هـ- ١٥١٧م.

إن ما عرفه العالم أجمعُ عن سماحة الإسلام حتى مع المحاربين المعتدين على دياره ومَنَّ الإسلامُ عليهم بالعفو والفداء في أوقاتٍ عصيبةٍ لازال حتى اليوم حديثَ المؤرخين لتلك الفترةِ يكتبون فيه دون تَحيز أو حَيْدٍ عن الحقائق التي لا يمكن الإغضاءُ عنها على مدى سِني تلك الحروبِ.

(انظر الخريطة)